جامعة الكوفة
كلية الفقه

الفكر التاريخي الإنساني عند أمير المؤمنين (عليه السلام)

الدكتور الشيخ حسن كريم ماجد الربيعي
المدرس محمد نعمة طاهر الصريفي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا بحث بعنوان (الفكر التاريخي عند امير المؤمنين عليه السلام وتأتي أهمية دراسة التاريخ كعلم انساني في تصحيح المسارات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية وتجاوز اخطاء الماضي بقراءة النصوص التراثية قراءة واعية وبعث الافكار الاصيلة التي تغير الواقع الى الاحسن والارقى بالبحث عن الاصول والاسس والعلل في حركته وقد تعددت القراءات وظهرت النظريات الفلسفية في تفسير التاريخ تفسيراً دينياً ودنيوياً ومن مختلف الاتجاهات والرؤى الا ان رؤية الامام علي عليه السلام هي رؤية تعبر عن اصول ومعارف ومصادر منطلقة من النصوص القرآنية المدونة بيديه مع القرب والاقربية على من نزلت اليه وهو الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) صاحب الاتصال السماوي ، وامة تتصل بمثل هذه الرموز ينبغي لها الرفعة وهذا ما يقرره العقل قبل النقل ، ومن الغريب ان التاريخ يقرأ ولا يعتبر به ، وهذه هي المدونة الوحيدة في العالم منذ يوم نزولها تنقل لنا اخبار الامم السالفة ثم احداث الواقع الذي نزلت فيه ثم ما يحدث في المستقبل من احداث تغير وجه العالم ، عرفت تلك الاحداث المنصرمة بالقصص القرآني منطبعة بطابع العظة والعبرة سواء تمثل الجوانب الايمانية الخيرة او الجوانب السيئة في المبدأ والخاتمة او تمثل جانب التحولات النفسية لدى بعض الشخصيات او الاقوام وهي بيان حالات اجتماعية مستقرة او متغيرة وكل هذا ليس للترف الفكري او الذكر اللساني دون العبرة والتغيير الفردي او الجماعي نحو تجاوز الاخطاء والصعود نحو سلم المجد والازدهار كل هذا نجده ايضاً في كلمات الامام علي عليه السلام وقد اقتصرنا على بيان ذلك في نهج البلاغة بالخصوص في ثلاثة مباحث: المبحث الاول الماضي: وعبره ، والثاني: بُعد الواقع المعاش ، والثالث: بُعد المستقبل ونختم البحث بخلاصة لهذه الابعاد ، ولله المنة علينا واليه المصير.

المبحث الاول: بُعد الماضي وعبره

ذكر الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) : ان مضى بمعنى والمضاء النفاذ ويقال ذلك في الاعيان والاحداث[١] ، قال تعالى: ((وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ))[٢] وقال ايضا: ((فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ))[٣] ، هذا ما استدل به الراغب ان الماضي او مفهوم مضى نفذ كحدث انتهى ووقائع مرت لا يمكن اعادتها او تغييرها وهي التي تسمى في علم التاريخ بالمعلومة الارشيفية ، ويبقى التحليل لما وراء الحدث في ابعاده الثلاثة وعناصره والظروف المحيطة بهذه الاحداث الماضية أي دراسة نفسية ونحن بحاجة الى الدخول في التاريخ النفسي والاجتماعي لرصد الواقع والحكم عليه ، فان تشخيص الموضوع يحتاج الى تأمل ونظر واستنتاج وهي رؤية ركز عليها امير المؤمنين في جملة من خطبه وكتبه وحكمه وهو البعد الماضوي لهذه الاحداث في تاريخ البشرية.

---

(١) الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، ضبط : هيثم طعيمي ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٤٢٣هـ) ، ص٤٩٠.

(٢) الزخرف / ٨ .

(٣) الانفال / ٣٨ .

تاريخ الوجود البشري (الحركة النبوية)

يشير امير المؤمنين (ع) الى حكمة الخلق واختيار الانبياء قبل النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بشكل متواصل لذا قال: ((وواتر اليهم انبياءه))[١] أي لا يخلو الوجود من حركة الانبياء عبر الاتصال بالوحي والتبليغ لاوامر الله سبحانه وتعالى لغرض وهدف واحد تبليغ امانة الرسالة القاصدة لسعادة البشرية وكان الحكمة اكثر من التذكير لذا قال: (ويذكروهم منسي نعمته ، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول ، ويروهم الآيات المقدرة))[٢] وقد تكون مهمة الانبياء اكثر من التذكير باثارة دفائن العقول بالنظر والتأمل والتحليل لهذه الحركة الاصلاحية وكان البشر في مسار وجوده يحتاج لمن يأخذ بيده ويحرك العقول المتواصلة مع الانبياء في الخارج وهي قد تتفاعل مع الامور النقلية ولذا حكم اهل الاصول بالملازمة المقررة عندهم ((كل ما حكم به الشرع حكم به العقل وكل ما حكم به العقل حكم به الشرع)) وهي مشهورة شهرة كبيرة ، والعلاقة قد تكون مبنية على التذكير لهذا الجهاز الذي يحوي الدفائن ربما هي اشارة الى الكنوز المعرفية.

يخيل الينا ان ثنائية الداخل والخارج تتضح بانه: ((لم يُخل سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب منزل او حجة لازمة او محجة قائمة: رسل لا تقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم: من سابق سمي له من بعده ، او غابر عرفه من قبله على ذلك نُسِلت القرون ومضت الدهور وسلفت الآباء وخلف ت الانبياء))[٣].

---

(١) الشريف الرضي ، ابو الحسن محمد بن الحسن الموسوي ، نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره من كلام امير المؤمنين اب الحسن علي بن ابي طالب عليه السلام ، شرح: محمد عبده ، تحقيق: عبد العزيز سيد الاهل ، (بيروت: دار الاندلس ، ١٣٨٢هـ) ، ج١ ، ص٣١ .

(٢)المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٣٢ .

(٣) نهج البلاغة ، جـ ١ ، ص٣٢ .

هذا التاريخ النبوي وحكمته هداية البشر ورفع شأنه بثنائية الاستجابة مع العقل لا الغرائز والشهوات التي تبعد هذه الثنائية جانباً فتتحكم الاهواء الدنيوية وتضييع الموازين العقلية ولا يثار ما دفن من العقول لعجز النبي الباطن ان يتفاعل مع النبي الظاهر (الخارجي) مع ان الحجة لله سبحانه وتعالى مع المبالغة في الاحتجاج بعدم خلو الزمان والمكان من جملة من التبليغات: النبي وكتابه ، الظواهر والعقول البواطن ولكن لا يعمل احدهما بدون الانفعال والتفاعل بين الاثنين العقل والنقل ولكل مساحته وهو ما ذكره امير المؤمنين من وجود ظواهر سبقت ظهور النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم فقال: ((واهل الارض يومئذ ملل متفرقة ، واهواء منتشرة وطرائق متشتتة بين مشبه لله بخلقه او ملحد في اسمه او مشير الى غيره))[١].

هذه الرؤية في تقصي الاحداث العالمية لحركة النبوة حتى وصلت الى الخاتم رؤية كلية في بيان حقائق الاشياء الماضية نابعة من ادراك البعد التفسيري لنصوص القرآن الكريم ، قال تعالى: ((وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ))[٢] ، وهي اشارة الى مفهوم الظلم عند الامم المضاد لحركة الرسالات الواضحات التي ما تدعوا الا الى العدل والسماحة والمساواة وهي المشتركات العظمى بين جميع الرسالات في التاريخ البشري.

ان من جملة الاهداف الكبرى لحركة الانبياء هي تأكيد وحدة المصدر والمنهج والاهداف مع العمق التاريخي وابعاده[٣] ، مع اختيار مسلك هؤلاء الانبياء في تواضعهم ، ويضرب الامام علي (عليه السلام) في خطبة امثلة على السلوك الفعلي لخط النبوة عن النبي موسى بن عمران واخيه هارون (عليهما

---

(١)نهج البلاغة ، جـ١ ، ص٣٣ .

(٢) يونس /١٣ .

(٣) الكفيشي ، عامر ، حركة التاريخ في القرآن الكريم ، (بيروت: دار الهادي ، ١٤٢٤هـ) ، ص١٤٦ .

السلام) فقد دخلا على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبايديهما العصي فشرطا له ان اسلم بقاء ملكه ودوام عزه فقال: ((الا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل فهلا ألقي عليهما اساورة من ذهب))[١] ، وفي هذا النص تتضح عدة امور تعزز الحياة الاجتماعية على مستوى العلاقات بين الانبياء والملوك بين فردين الاعتدال والتفريط والتواضع والتكبر ولكن الرؤية تختلف والموازين مختلفة بين الدنيوي والأخروي فان فرعون اعظم الذهب وجمعه واحتقر الصوف ولبسه وهذه الرؤية للحياة تعبر عن التسلط والاستبداد الناتجة عن عدم فهم الوجود والموجود وغايته او بمعيارية الدنيوية فقط.

وهنا يذكر امير المؤمنين (عليه السلام) الاعتبار بالامم الماضية بنحو العبرة بهم: ((فاعتبروا بما اصاب الامم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته ووقائعه ومثلاته))[٢] ثم يشير الى اصل العبرة من اخبار الماضين حيث يتذكرهم الانسان فقال: ((وبقي قصص اخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين))[٣].

ثم قال في موضوع اخر: ((فاعتبروا بحال ولد اسماعيل وبني اسحاق وبني اسرائيل عليهم السلام.....الخ))[٤] ، ثم يشير عليه السلام الى تسلط الاكاسرة والقياصرة الذين اتخذوا اراباً من دون الله سبحانه وتعالى[٥].

ان التأمل والنظر الدقيق في حضارات الامم السالفة احياء للقلب والفكر بالاعتبار واخذ العبرة وتجاوز اخطاءهم فمن وصيته (عليه السلام) لابنه الامام الحسن (عليه السلام) يقول له في العرض القلبي: ((واعرض عليه اخبار الماضين وذكره بما اصاب من كان قبلك من الاولين وسر في ديارهم وآثارهم

---

(١) نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٣٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ٣٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ٣٧٠ .

(٤) نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٣٧٠ .

(٥) للمزيد ينظر : نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٣٧٠ – ص٣٧١ .

فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا ، واين حلوا ونزلوا فانك تجدهم قد تنقلوا عن الاحبة وحلوا ديار الغربة ، وكانك عن قليل قد صرت كاحدهم))[1] ، وفي موضوع اخر من الوصية يذكر(عليه السلام) الاعتبار والعبرة من التاريخ: ((أي بني اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم وسرت في آثارهم ، حتى عدت كاحدهم ، بل كاني بما انتهى الي من امورهم قد عمرت مع اولهم الى آخرهم))[2] ، وهذه الوصية فيها مضامين عالية بل هي تربية رفيعة للنفس يجدر بنا ان نضعها في مدارسنا وجامعاتنا وطرق تدريسنا لنتعلم منها الخلق الرفيع والاتصال مع الواقع الاجتماعي ونعمل بمضمونها في تجسيد دراستنا لواقع الماضين واخبارهم بل يمكن اعتماد دراسة التاريخ واحداثه للعبرة والعظة سواء دراسة تاريخ العالم الكلي او جزيئات التاريخ البشري ولكل حضارته وثقافته ، وليس الاطلاع والعرض على النفس او المجتمع لغرض الترف الفكري او قضاء الاوقات بل لاستخلاص العبرة والابتعاد عن المسلك الخاطئ فان اخبارهم عبرة وعظة لذا عد التاريخ من مصادر الوعظ وليس المقصود الوعظ الديني فقط بل الوعظ الاجتماعي لتجاوز اخطاء الماضين واختصار الزمن من المرور بنفس الحوادث لتشابه ذلك ، وكثيراً ما يقع ذلك في سقوط الدول ونشوء غيرها فتمر بنفس الدائرة من دون النظر لاحداث الماضي وتجاوزها كالتقدم الذي يحصل للحضارات مع الاستفادة من تجارب الامم الاخرى وقد صرح العديد من العلماء الغربيين باخذهم من الاسلام اصوله في السياسة والتمرن وحسن ممارستهم لمبادئه وجوده استنباطهم واستخراجهم لها[3] ونقل عنهم ان الصليبين: ((خرجوا من ديارهم لقتال المسلمين فاذا هم جلوس عند اقدامهم يأخذون عنهم افانين العلم

---

(١) للمزيد ينظر : نهج البلاغة ، جـ ٣ ، ص٤٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٧٦ .

(٣) للمزيد ينظر: النائيني ، محمد حسين ، تنبيه الامة وتنزيه الملة ، تعريب: عبد الحسين آل نجف ن تحق: عبد الكريم آل نجف ، (قم: سبهر ، ١٤١٩هـ) ، ص٩٤ .

والمعرفة))[1] لذلك اعدوا المناهج العلمية لدراسة الحضارات فقد اعد المؤرخ الفرنسي فرنان برودال (١٩٠٢ – ١٩٨٥) F.BRAVDEL منهجاً في التاريخ لطلاب المدارس الثانوية الفرنسية اسماه (في نحو الحضارات)[2] ، اذا كانت مدارسهم في التعليم الاولي يدرس مثل ه ذا النوع من الكتابات التاريخية فما هو تفكيرهم في قضايا ابعاد التاريخ ووعيه ، فهم لا ينكرون اسهامات الحضارات البشرية ومدى الاستفادة من ذلك وتغيير الثقافة نحو البناء الفكري والنقدي لمثل هذه الاحداث الماضية.

فان لفظ امير المؤمنين (اخبار الماضيين) هو مطلق غير محدد بحضارة دون اخرى او هو ما يتبادر الى الذهن التاريخ السياسي عند العرف العام بل يقصد منه التاريخ العام ومنه التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي وتاريخ تطور المفاهيم او تاريخ العلم بكل اشكاله وتجلياته كلها لعدة امور منها العظة والعبرة والتعلم والتعليم والمعرفة ومصادرها المتعددة او بنحو التطوير الفكري والعلمي.

ان ما يذكره هنا الامام علي عليه السلام ينبهنا الى دراسة الظواهر التاريخية وتحليلها او جمع الابعاد لتفعيل الوعي وهذا ما نجده عند دراسة سيرة النبي صلى الله عليه واله وسلم والائمة الهداة عليهم السلام فانهم الاسوة والقدوة بل المنار فهل يجب التمسك بهذه السيرة ام الاطلاع عليها فقط؟ ، وهنا تأتي اهمية الدراسة التاريخية ، فان عرض اخبار الماضين الصالحين والطالحين لأعظم عبرة ليس للفرد وحده بل للامة في بيان خيارها على مفاهيم التقدم والوعي التاريخي التقدمي لا الرجعي فالتقدم اصل اصيل في الفكر الاسلامي أي

---

(١) هرنشو ، علم التاريخ ، ترجمة: عبد الحميد العبادي ، (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م) ، ص٤٨ .

(٢) التيمومي ، الهادي ، نظريات المعرفة التاريخية وفلسفات التاريخ في العالم الغربي في النصف الثاني من القرن العشرين مختارات معربة ، (تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، ٢٠٠٨م) ، ص٣٠ .

التفاعل مع آليات المناهج المتطورة للتقدم ولا يجدي التمسك بالآليات القديمة التي استهلكت ولا تعد قادرة على المواصلة ومثل ذلك تجديد الفكر وآلياته في التاريخ وغيره وبالاخص في المعاملة مع التراث المعرفي والمنهجي والمفهومي مع الحذر من السقوط فريسة للفكر الغربي[١] والقطيعة مع التراث الماضوي ، وهنا يؤكد امير المؤمنين عليه السلام اجتياز الحاضر بالعبرة من الماضي الذي يحمل في طياته الحكمة والعبرة والتراث والفكر والمنهج وهو قد عاشه بقوله كاحدهم لذا قال امير المؤمنين عليه السلام لابنه الامام الحسن عليه السلام: ((احي قلبك بالموعظة ..... وذكره بما اصاب من كان قبلك من الاولين)) ((واعرض عليه اخبار الماضين))[٢] ، فالتذكير حالة تتعامل مع النفس والتربية مصاحبة للعاطفة والتأمل والنظر وله اثر في الوعي الاجتماعي التربوي كتغيير السلوك ، وربما اعطى الامام(عليه السلام) معاني الدرس النظري اولاً ثم تحول الى معنى الدرس العملي وهكذا يدرس علم التاريخ بنوعين:

١- التفاعل والانفعال مع الحدث التاريخي.

٢- النظر المادي للمخلفات الاثرية للاقوام الماضية.

وقد ارجع بعض الباحثين الانهيار الاممي من انه مرتبط باسباب ذاتية وموضوعية فالوصف القرآني يعد مركز القاعدة في البناء والهدم هي الاخلاق كقيمة عليا مرتبطة بواقع الممارسة والتطبيق[٣].

وعرف ذلك بالسنن التاريخية وقد ذكر ذلك في القران الكريم فمثلاً العذاب المهين سنة تاريخية في القيمة والقوة من خلال ارادة الانسان وفعله[٤] ، قال

---

(١) للمزيد ينظر: الجابري ، محمد عابد ، نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي ، (بيروت: المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٣م) ، ص١٣ .

(٢) نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٤٧٥ .

(٣) الركابي ، السنن التاريخية في القرآن المجيد ، (بيروت: دار النهضة الاسلامية ، ١٩٩٦م) ، ص١٤٦.

(٤) الركابي ، السنن ، ص٧٢ .

تعالى: ((ومَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ))[١] وفي نص قرآني اخر يقول الخالق عز وجل: ((وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً))[٢] وهنا اشكالية في تصوير هذا المفهوم القرآني حيث ان الناس ليسوا كلهم ظالمين عادة فيهم الانبياء والائمة والاوصياء هل يشمل الهلاك الجميع؟ الحقيقة ان هذا العقاب دنيوي فهي تتحدث عن النتيجة الطبيعية لما تكسبه الامة عن طريق الظلم والطغيان[٣] ، ان ارادة النص القرآني هو خلق مجتمع على درجة من الوعي التاريخي في الاحداث كما يقول السيد الشهيد الصدر: ((انه يخلق في الانسان المسلم شعوراً واعياً على جريان احداث التاريخ متبصراً لا عشوائياً ولا مستسلماً ولا ساذجاً))[٤] ، ذاك الوعي الذي اشار اليه امير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته التي تسمى (الغراء) وهي من الخطب العجيبة كما يعبر عنها الشريف الرضي (ت٤٠٤هـ) فقد جاء فيها: ((عبادَ الله أينَ الذينَ عُمروا فَنعمُوا ، وعُلِّموا ففَهمُوا وانظرُوا فَلهُو ، وسُلمُوا فَنسُوا ، أمهلُوا طوِيلاً ومنِحُوا جَميلاً وحُذرُوا أليماً ووعدُوا جَسِيماً..... الخ))[٥] ، وبعد هذا الكلام الذي يعرض للتفكير والتأمل والنظر يعطي النتائج لهذه الجولة من الافكار في السير الصحيح الموافق لارادة الله سبحانه وتعالى ((قبل قدوم الغائب المنتظر واخذة العزيز المقتدر))[٦] وفي كلام له عظيم يقول: ((وان لكم في القرون السالفة لعبرة ، اين العمالقة وابناء العمالقة اين الفراعنة وابناء الفراعنة

---

(١) القصص / ٥٩ .

(٢) فاطر / ٤٥ .

(٣) للمزيد ينظر: السيد الصدر ، محمد باقر ، المدرسة القرآنية ، (قم: شريعة ، ١٤٢٦هـ) ، ص٥٨ وما بعدها.

(٤) السيد الصدر ، محمد باقر ، المدرسة القرآنية ، ص٦٩ .

(٥) نهج البلاغة ، جـ١ ، ص١٤٧ .

(٦) نهج البلاغة ، جـ١ ، ص١٤٩ .

اين اصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين واطفأوا سنن المرسلين واحيوا سنن الجبارين.....))[1].

(١) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٣٢٧ .

ماضي العرب قبل الاسلام

اشار امير المؤمنين (عليه السلام) الى تاريخ العرب قبل الاسلام وحالتهم الاقتصادية والاجتماعية وما هم عليه من احوال فذكر: ((فالاحوال مضطربة والايدي مختلفة والكثرة متفرقة في بلاء ازل ، واطباق جهل من بنات مؤودة واصنام معبودة ، وارحام مقطوعة ، وغارات مشنونة))[١] ، هذه هي احوال العرب قبل الاسلام الاجتماعية والفكرية والعسكرية يصفها امير المؤمنين عليه السلام ليبين التكوين الاسلامي للعرب من هذه احوالهم الى امة ذات حضارة بلغت الخافقين بفضل دعوة الاسلام ، لذا كان يخاطبهم بقوله: ((وانتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار منيخون بين حجارة خشن وحيات صم ، تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون ارحامكم ، الاصنام فيكم منصوبة والاثام بكم معصوبه))[٢] ، وفي هذا النص يبين التفكير الديني العربي بهذه الحالة قبل الاسلام مع الحالة المزرية للاقتصاد وحالة الخوف والرعب اثر الغارات المتبادلة بين القبائل العربية نتيجة لسوء الحالة الاقتصادية وغياب الحكم وضياعه بين قبائل لا ترضخ الا بالقوة كعامل يستطيع السيطرة على هذه القبائل التي لا تعرف النظام والتنظيم في حياتها.

فان الاغارة والسلب من اهم وسائل العيش ، والثأر عندهم من الواجبات الدينية قتل الجاني او احد افراد قبيلته ، ويبدو ان العرب لم يقبلوا برجل من بلد آخر سيداً اعلى عليهم وهو موجود عند القبائل الرعوية التي اظهرت مستوى رفيعاً من التجانس الاجتماعي فكانت تكره بنى السلطة فهم لا يعرفون المراقبين ولا الموظفين[٣] ، وكانوا يحتقرون المهن وهي لغيرهم[١] ، وهذا التعالي

---

(١) نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٣٧١ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٧٤ .

(٣) هيلند، ربت ، تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرزنزي الى صدر الاسلام ٣٢٠٠ ق.م – ٣٦٠م ، ترجمة: عدنان حسن مراجعة: زياد منى ، (بيروت: قدمس للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠م) ، ص١٤٩ .

لتعظيمهم شجاعة الرجال في الغزو والاغارة وهي ظاهرة متأصلة فيهم برزها امير المؤمنين عليه السلام بكثرة غاراتهم المشنونة ، وهي غارات ذكرها امير المؤمنين (عليه السلام) في وصفة لواقعة ايام خلافته عندما شن معاوية الغارات على اطراف الدولة فعاتب اهل العراق بقوله: ((حتى شنت عليكم الغارات في بلادكم.....))[٢] اذ يعني ذلك ان العادات الجاهلية متأصلة في نفوسهم حتى بعد ان مدنهم الاسلام ورفع شأنهم.

يقول امير المؤمنين عليه السلام عن ظاهرة انتشار الحفظ الشفوي بلا قراءة لكتاب فهي امة حافظة من دون ذلك: ((وليس احد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة))[٣] ، ويدل هذا اننا لم يصل الينا من نتاجاتهم على شكل مخطوط فنعرف هذه النتاجات ونقرأها الا ما حفظ ودون بعد ذلك نقلا من تاريخهم المحفوظ في الصدور.

ثم يصف عليه السلام الناس قبل البعثة بقوله: ((والناس ضلال في حيرة ، وخابطون في فتنة ، قد استهوتهم الاهواء ، واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء ، حيارى في زلزال من الامر ، وبلاء من الجهل))[٤] ، هذه هي حياتهم الاجتماعية ، اما حياتهم الاقتصادية فقد اشار اليها امير المؤمنين(عليه السلام) اذ وصفها وصفاً واضحاً معللاً سبب فقرهم وتفرقهم هو تسلط القوى الكبرى عليهم وازاحتهم الى المناخات القاسية كما تتسلط قوى الاستكبار العالمية اليوم بحجج براقة من العولمة والحداثة والتطور والحرية وغيرها من المفاهيم الفضفاضة مع انها تحتقر غيرها بجعل المركزية الغربية هي المرجعية العالمية لبني البشر ، يصف امير المؤمنين (عليه السلام) حالة العرب مع القوى الكبرى

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٥٠ .

(٢) الثقفي ، ابراهيم بن محمد ، الغارات ، تحق: عبد الزهراء الحسيني ، (دمشق: دار الكتاب الاسلامي ، ١٩٩٠م) ، ص٣٢٦ .

(٣) نهج البلاغة ، جـ١ ، ص٨٩ .

(٤) نهج البلاغة ، جـ١ ، ص١٨٧ .

من القياصرة والاكاسرة وما فعلوه بهم فقال: ((تأملوا في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة ارباباً لهم ، يحتازونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق وخضرة الدنيا الى منابت الشيح ومهافي الريح ونكد المعاش ، فتركوهم عالة مساكين اخوان دبر ووبر ، اذل الامم داراً واجدبهم قراراً لا يأوون الى جناح دعوة يعتصمون بها ، ولا الى ظل الفة يعتمدون على عزها.....))[1] ، وهذا المقطع من الخطبة المعروفة بالقاصعة – سميت بذلك لانه عليه السلام حقر حال المتكبرين[2]- بين فيها احوال العرب في ظل القوى الكبرى من الفرس والروم ، ودخلت المناذرة والغساسنة في احلاف الدول الكبرى وكانت حطبا بين القوتين انذاك فقد تورطوا في هذا الصراع فلما عين الامبراطور الفارسي كاواد المنذر سيداً على العرب في الاراضي الفارسية وبالمقابل جمعت مختلف القبائل الموالية للبيزنطيين تحت زعيم واحد هو الحارث بن جبلة ومنح لقب الملك[3] ، ولذا كان الصراع بين القبائل العربية وليس بين الفرس والروم وكانت على رأي ربرت هيلند ان هذه الامارات تسكن في الخيم مميزاً السكان من المسيحيين انهم يسكنون في بيوت دائمة[4] ، وهو ليس بصحيح فان المناذرة ملوك الحيرة كانت لهم قصور ومبان مشهورة ومعروفة ، الا ان امير المؤمنين عليه السلام يريد الاشارة ان الفرس والروم قد استغلوا هذه الكيانات المصطنعة وابعدوا جملة العرب عن هذه المناطق الخصبة ذات المناخ الجميل الى مناطق ذات مناخ قاس وصحراء كبيرة يندر وجود الزراعة فيها والمياه الا من بعض العيون التي يبحث عنها العربي لتأمين عيشه فيها وانه لا يستطيع الوصول الى اماكن تواجد الموالين لهاتين القوتين ، فاصبحوا متفرقين في الصحراء العريضة من شبه الجزيرة العربية. وعلى هذا يدرس الماضي ويعتبر به فان الابعاد التاريخية

---

(١) نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٣٧٠ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٣٥٦ ، هامش الخطبة .

(٣) هيلند ، تاريخ العرب ، ص١١١ .

(٤) المرجع نفسه ، ص١١٢ .

دائماً في سير فتمضي الازمنة الثلاثة وتطوي الاوقات تغير مستمر بلا استراحة وسير دائب بلا وقفة[1].

(١) المطبعي ، حميد ، العلامة الدكتور حسين علي محفوظ ، (بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٩م) ، ص١٥٣ .

المبحث الثاني : بعد الواقع المعاش (الحاضر)

تأطر واقعه (عليه السلام) بجملة من العلاقات الاجتماعية بينها بوضوح وبشكل جلي بجميل العبارة ، فلا تقبل اللبس والتأويل الا بما هو كلام البلاغة العربية واساليبها المتنوعة ، وفي هذا المبحث نأخذ جملة هذه العلاقات كملامح تذكرية يمكن ان يسعها غير هذا البحث وذلك لطول الوقوف عندها.

اولاً: علاقته برسول الله صلى الله عليه واله وسلم

اوضح تلك العلاقة بالقرابة القريبة في المنهج والتربية والسلوك بل امتزجت النفوس ، فقد قال في خطبته القاصعة: ((وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وانا ولد يضمني الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه))[1] ، وهذا النص يؤكد نوع العلاقة الحميمة بين الاثنين وهي مما لا يقبل الشك والريب لمن تتبع سيرته المتطابقة مع فعل وقول وتقرير الرسول صلى الله عليه واله وسلم ونقلت كتب المسلمين الاحاديث الكثيرة في بيان تلك العلاقة ، يقول الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) في تاريخ بغداد في ترجمته عليه السلام: ((ومناقبة اشهر من ان تذكر وفضائله اكثر من ان تحصر))[2].

ان هذه العلاقة التي عرفها الجميع ينقلها امير المؤمنين عليه السلام لنا بأجمل صورة بلاغية تأخذ بالقلوب وترتفع بالايمان ، فهو يصف العلاقات المتبادلة فينقل عن النبي صلى الله عليه واله وسلم صورته عنه فيقول: ((وما

---

(١) نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٣٧٣ .

(٢) الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي ، تاريخ بغداد مدينة السلام ، تحق: صدقي جميل العطار ، (بيروت : دار الفكر ، ١٤٢٤هـ) ، جـ١ ، ص١٠٨ .

وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل))[١] ، ثم يقول: ((ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه ، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً))[٢].

هذه هي التربية النبوية وهذا هو الحال (الحاضر) وهو الواقع المعاش الذي عاشه امير المؤمنين في علاقته مع النبوة وقربه منها ، ثم يصف هذه العلاقة باعلى من ذلك فيقول: ((ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة))[٣] ، من نال مثل هذه العلاقة بالاقربية الفعلية المادية والمعنوية وهي دلالة على الاولوية على غيره مهما قرب من ذلك.

وقد بادله الرسول صلى الله عليه واله وسلم هذه العلاقة من الحب والمودة والاخلاص فقال له صلى الله عليه واله وسلم: ((انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك لوزير وانك لعلى خير))[٤] ، وقد تكرر لفظ الوزير في عدة مواضع من حياة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مع ان العرب لم تعرف نظام الوزارة في حياتها السياسية ، قال تعالى: ((وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي))[٥] ، يقول الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) في مفرداته: ((والوزير المتحمل ثقل اميره وشغله))[٦] ، والامام هو المتحمل عن الرسول ثقله وشغله ، هذه العلاقة المتبادلة منذ بداية الولادة ينم على التأمل والنظر في جذورها والتعلق بها فهذا النوع من العلاقة التي ايدها النص القرآني في آية المباهلة اذ عبر عنه بالنفس وهي اعلى مستوى للعلاقات بين الناس ، قال تعالى:

---

(١) نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٣٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٣٧٤ .

(٣) نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٣٧٤ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) طه / ٢٩ .

(٦) الراغب الاصفهاني ، المفردات ، ص٥٤٥ .

((وانفسنا وانفسكم))[1] اذ جعل النبي والامام نفس واحدة وذكر ذلك المفسرون من المسلمين في كتبهم التفسيرية قديماً وحديثاً.

وعند الوقوف على كلامه عليه السلام وهو ينطق بـ: ((اشهد ان لا اله الا الله ، شهادة ايمان وايقان واخلاص واذعان ، واشهد ان محمداً عبده ورسوله ، ارسله واعلام الهدى دارسة ومناهج الدين طامسة فصدع بالحق ونصح للخلق وهدى الى الرشد وامر بالقصد صلى الله عليه واله وسلم))[2] ، ولفظة مناهج قد استعملها امير المؤمنين في خطابه هذا وربما يعد اقدم من ذكرها في الفكر الاسلامي وهي ذات دلالات في عصرها لان المفاهيم تتطور ، ولكن لفظة مناهج هي اليوم ذات قيمة علمية رفيعة في البحث العلمي.

واستعمل عليه السلام لفظ منهج ويعني به الطريق معبراً عن بعثة النبي صلى الله عليه واله وسلم: ((بعثه حين لا علم قائم ولا منار ساطع ولا منهج واضح))[3]، ثم بين نوع العلاقة والاتباع المملوء ثقة ويقين لا اتباع عن عمى بل عن يقين واعلى منه وهو يعلن خطابه الواقعي امام الصحابة بانه قال: ((لم ارد على الله ولا على رسوله ساعة قط ، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الابطال ، وتتأخر فيها الاقدام نجدة اكرمني الله بها))[4]. هذا النص يشير الى معنى الاقربية الحقيقية بينهما فقد بدأت منذ الولادة ثم انتهت العلاقة كما بدأت فقد عبر عنها: ((ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه واله وان رأسه لعلى صدري ولقد سالت نفسه في كفي فمررتها على وجهي..... فمن ذا احق به مني حياً وميتاً))[5] ، والكلام الاخير نتيجة لما قبلها فهو الاحق والمقدم على

---

(١) آل عمران / ٦١ .

(٢) نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص ٣٨٣ .

(٣) نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٣٨٥ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٣٨٦ .

(٥) نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٣٨٥ .

غيره في هذه العلاقة التي جعلت منه اماماً يسير على هدى الرسالة لا يخالفها وهو الاحق بالاتباع من غيره.

وقال وهو يغسله: ((بابي انت وامي يا رسول الله ، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والابناء واخبار السماء.....الخ))[1] ، وقد تناول الامام عليه السلام في خطبه وكلامه مفاهيم هذه العلاقة في اغلب فصول الكتاب مبيناً شكل هذه العلاقة بينهما فلا يبقى مجالاً للشك من انه ازاح الشكوك والشبهات حول هذه العلاقة التي كانت المسار الحقيقي لمن يريد معرفة الاسلام والسير على خطاه ، ومن الغريب من بعض الكتاب المعاصرين انه يعنون في بعض فصول كتابه ان علياً عليه السلام اراد الدنيا ولن ترده ثم ينقل كلامه بشكل غير موضوعي عن الاحداث التي وقعت والحروب التي دارت بين المسلمين والنتائج المترتبة من خياله مع قشرية الرؤية بلا معرفة حقيقية وبيان لتلك العلاقة الحقيقية والممارسات الفعلية على مستوى التطبيق لتظهر الحقيقة[2].

الحقيقة[2].

(١) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٣٥ .

(٢) للمزيد ينظر: ابن قرناس ، سنة الاولين تحليل مواقف من الدين وتعليلها ، منشورات الجمل ، ٢٠٠٨م ، ص٤٧٨ – ص٤٨٨.

ثانياً: علاقته بالصحابة

وفي بيان حاضره وواقعه كان يصف الصحابة وعلاقته بهم مع بيان الحق مهما كانت النتائج ، وهنا يعرض مفهوم اهل البيت وعلاقة الصحابة بهذا المفهوم ومدى ثقافتهم بهذا المفهوم على مدى واقعة وحاضره ومن هم الذين يتمسكون بهذا المفهوم نظرياً وعملياً لذا ذكر في بعض خطبه هذه العلاقة بينه وبينهم: ((انظروا اهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا اثرهم....))[١] ، ثم يصف اصحاب النبي صلى الله عليه واله وسلم باجمل وصف اذ يقول: ((لقد رأيت اصحاب محمد صلى الله عليه واله وسلم فما ارى احداً يشبههم منكم....))[٢] ، ثم يعدد صفاتهم من الورع والزهد والرقة والصبر والشجاعة وغيرها من الصفات التي فقدت في الذي يراهم في خلافته ففي معركة صفين ذكر اصحاب محمد صلى الله عليه واله وسلم بقوله: ((ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، نقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا واعمامنا ما يزيدنا ذلك الا ايماناً وتسليماً.....))[٣].

وقال يوماً لابي ذر الغفاري: ((انك غضبت لله ، فارج من غضبت له ، ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك ، فاترك في ايديهم ما خافوك عليه.... لا يؤنسنك الا الحق ولا يوحشك الا الباطل ، فلو قبلت دنياهم لاحبوك ولو قرضت منها لأمنوك))[٤] ، وترحم على احد الصحابة وهو خباب بن الارت (ت ٣٧هـ)[٥] ، فقال: ((يرحم الله خباب بن الارت فلقد اسلم راغباً وهاجر طائعاً وقنع بالكفاف ورضي عن الله وعاش مجاهداً))[١].

---

(١) نهج البلاغة ، جـ١ ، ص١٩٠ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص١١٢ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٤١ .

(٥) هو خباب بن الارث من بني سعد بن زيد مناة حليف لبني زهرة كنيته ابو يحيى مات بالكوفة منصرف الامام من صفين وصلى عليه امير المؤمنين ودفن بالكوفة ، ابن حبان

ولما توفي سهل بن حنيف الانصاري[٢] بالكوفة بعد مرجعه معه من صفين وكان احب الناس اليه ، قال عنه: ((لو احبني جبل لتهافت)) يشير الى ان المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب اليه[٣] ، وقال للاشعث بن قيس[٤] وقد عزي عن ابن له توفي: ((يا اشعث ان صبرت جرى عليك القدر وانت مأجور وان جزعت جرى عليك القدر وانتم مأزور))[٥] .

وقال لانس بن مالك (ت٩١هـ) بعد ما بعثه الى طلحة والزبير ليذكرهما بما سمع من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ولكنه رجع مدعياً انه نسى فرد عليه امير المؤمنين عليه السلام: ((ان كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها الممامة [كذا] والصحيح في النسخ العمامة[٦].

وقال لجابر عبد الله الانصاري (ت٧٩هـ): ((يا جابر قوام الدين والدنيا باربعة: عالم مستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف ان يتعلم وجواد لا يبخل

، ابو حاتم محمد ، تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الاخبار ، تحق: بوران الضناوي ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ) ، ص٨٨ .

(١) نهج البلاغة ، جـ٤ ، ص٥٧٤ .

(٢) هو سهل بن حنيف بن واهب بن الحكيم كان من البدريين سكن الكوفة ومات فيها وصلى عليه امير المؤمنين عليه السلام سنة ٣٨هـ ، ابن حبان ، تاريخ الصحابة ، ص١٢١ .

(٣) نهج البلاغة ، جـ٤ ، ص٥٨٥ .

(٤) الاشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي ، سكن الكوفة وشهد صفين مع امير المؤمنين عليه السلام وكانت ابنته عند الامام الحسن عليه السلام مات بعد شهادة الامام باربعين ليلة ، ابن حيان ، تاريخ الصحابة ، ص٣٥ .

(٥) نهج البلاغة ، جـ٤ ، ص٦٢٥ .

(٦) المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص٦٢٨ .

بمعروفه ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه ، فاذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل ان يتعلم ، واذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه))[1].

وهناك العديد من الالفاظ البلاغية التي توضح مراداته من هذه العلاقة التي يراها ان تتبع امر الرسول صلى الله عليه واله وسلم في معرفة حقه وشخصيته في اقامة العدل واسس الاسلام وقواعده ، ولكنه رآى غير ذلك فعبر بعدة خطب لا يسع ذكرها في هذا البحث.

ونقل ابن سينا حديثاُ في رسالته المعراجية المكتوبة باللغة الفارسية عن النبي صلى الله عليه واله وسلم يدعو امير المؤمنين الى التقرب الى الله بالعقل فاورد احد المحشين على هذه الرسالة بان امير المؤمنين بين الصحابة عقل وغيره حس وهم بحاجة الى العقل لانهم حواس[2].

---

(١) المصدر نفسه، جـ٤ ، ص٦٢٨ .

(٢) آملي ، جوادي ، الحكمة النظرية والعملية في انهج البلاغة ، (قم: ذوى القربى ، بلا)، ص٣٢ .

ثالثاً: علاقته بأعدائه

تمتع امير المؤمنين عليه السلام باخلاق الرسول صلى الله عليه واله وسلم وبأصل تربيته حتى مع اعدائه وعلاقته بهم ، ومن تصرفه هذا نعلم حركة المعصوم في السلوك الفعلي الاجتماعي مع الاعداء والاصدقاء ، وهنا سنبين بعض هذه المواقف الانسانية قبل اتخاذ قرار الصراع ، فان النزعة الانسانية عرفها امير المؤمنين منذ ان عرف الاسلام ، فانه يخاطب الناس بهذه النزعة التي رفع شعارها الرسول صلى الله عليه واله وسلم فان فعلهم حجة وهدي الى الصراط المستقيم الدنيوي والاخروي ، اما ما نراه من فعل المسلمين من القسوة والعنف فهو من فعلهم لا من نظرية الاسلام ابداً.

قال عليه السلام لطلحة والزبير: ((لقد نقمتما يسيراً ، وارجأتما كثيراً الا تخبراني أي شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه ؟ .... والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية اربة ، ولكنكم دعوتموني اليها وحملتموني عليها.....))[1] ، ثم يقول في موضع اخر: ((وانهم ليطلبون حقاً هم تركوه ودماً هم سفكوه....))[2] ، وهنا يصف واقع البيعة له من هؤلاء الذين نكثوا بيعته ثم خرجوا عليه وكانت معركة الجمل وهو يصف اثرها في مقتل الخليفة عثمان وفي بيعته لكن امير المؤمنين يشير في اغلب كلامه الى كوامن النفس البشرية للوصول الى غاياتها على نحو الترتب ، لذا قال في اخر كلامه: ((اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق....))[3].

ومن نزعته الانسانية وقد سمع بعضهم يسبون اهل الشام فقال: ((اني اكره لكم ان تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتهم اعمالهم وذكرتم حالهم كان اصوب في القول وابلغ في العذر وقلتم مكان سبكم اياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم

---

(١) نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٣٩٧ .

(٢) نهج البلاغة ، جـ٢ ، ص٢٤٨ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٣٩٨ .

واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به))[١].

واما علاقته مع الخوارج فقد ارسل اليهم عبد الله بن عباس للاحتجاج والمناظرة واوصاه بقوله: ((لا تخاصمهم بالقرآن ، فان القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون ولكن حاججهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصاً))[٢] ، وهي اشارة عظيمة لمن يشتغل بالتشريع الاسلامي فان السنة تتكلم عن الجزئيات وتفصيلاتها فلا مرد من الانصياع لها في حين ان القرآن هو القانون الاساس العام الذي يحتاج من يشرحه ويفسره ويذكر فيه مواطن التطبيق الفعلي على مستوى الواقع الذي لا ينكر.

وقد كتب لمعاوية كتاباً ذكر في ذيله: ((واقبل الي في وفد من اصحابك))[٣] ، اشارة الى روح النزعة الانسانية الخالصة وحقن دماء المسلمين ، ورد على معاوية في رسالة جوابية قائلاً: ((اما بعد فانا كنا نحن وانتم على ماذكرت من الالفة والجماعة ففرق بيننا وبينكم امس أنا آمنا وكفرتم واليوم انا استقمنا وفتنتم وما اسلم مسلمكم الا كرهاً))[٤].

ومن كتاب ارسله الى طلحة والزبير جاء في اخره: ((فارجعا ايها الشيخان عن رأيكما فان الآن اعظم امركما العار من قبل ان يتجمع العار والنار والسلام))[٥].

---

(١) نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٣٩٩ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص٥٦٣ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص٥٦٢ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص٥٥٠ .

(٥) المصدر نفسه ، حـ٤ ، ص٥٤١ .

وقد رد على معاوية في دعوته الى حكم القرآن قوله: ((وقد دعوتنا الى حكم القرآن ولست من اهله ولسنا اياك اجبنا ولكننا اجبنا القرآن في حكمه))[1]. وهذه الممارسات من امير المؤمنين عليه السلام تحتاج الى دراسة حفرية في الفقه السياسي من منطلق نظرية الاسلام واسسه في التعامل مع الاحداث أي تعامل الحاكم السياسي في الواقع المعاش وكيفية اتخاذ القرارات على اسس القانون الاسلامي وعلى راس هذا القانون القرآن الكريم.

وهناك العديد من الارشادات والاحكام التي تبناها الامام عليه السلام مع من خالفه واعلن واكتم العداء له ، موزعة في مطاوي كتاب نهج البلاغة.

---

(١) نهج البلاغة ، جـ٤ ، ٥١٣ .

رابعاً: علاقته باصحابه ومحبيه

كانت العلاقة بينه وبين اصحابه ومحبيه علاقة الايمان والمحبة الواجبة والاطاعة لله ولرسوله ومحبته لهم ، فنراه يقول ويتحسر: ((اين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق ؟ اين عمار ؟ واين ابن التيهان؟ واين ذو الشهادتين ؟ واين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية....اوه على اخواني الذين تلوا القرآن فاحكموه وتدبروا الفرض فاقاموه احيوا السنة واماتوا البدعة دعوا للجهاد فاجابوا ووثقوا بالقائد فاتبعوه))[١].

هذه العلاقة بينه وبينهم قد بنيت على اسس الايمان والتقوى ومثل هذه العلاقات لا تتزحزح ابداً مهما كانت الاحوال والظروف لذا كان يقول لهم: ((انتم الانصار على الحق والاخوان في الدين))[٢] ، ومفهوم الاخوان في الدين من اعظم المفاهيم في النظرية الاسلامية الذي يحفظ البنية الاجتماعية للامة الاسلامية.

وقد اشار الى اصحابه في التعاون بينهم في ساحة الحرب وغيرها[٣] في عدة خطب وكلام له.

وفي كلام قاله لاصحابه وهو يحثهم على الجهاد وهو من روائع كلامه عليه السلام: ((ولا تجتمع عزيمة ووليمة))[٤]وعلق الشيخ محمد عبده في الهامش شارحاً لهذه العبارة بقوله: ((أي لا يجتمع طلب المعالي مع الركون الى اللذائذ))[٥].

---

(١) نهج البلاغة ، جـ٢ ، ص٣٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٢٦ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٣٢ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٤١ .

(٥) هامش نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٤٤١ .

ووصف محبيه ومبغضيه بكلام فقال: ((لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما ابغضني ، ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على ان يحبني ما احبني ، وذلك انه قضي فانقضى على لسان النبي الامي صلى الله عليه واله وسلم انه قال: يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق))[١].

وبهذا النص تتضح علامة الايمان وعلاقة النفاق وربما التوفيق في الاخذ على هدى الامام ممن يتركه ويتبع غيره ويمكن اعتماد ذلك في وسائل تقويم رجال الاسناد مع المتون ، فهي قاعدة فكرية وعلمية وضعها الرسول صلى الله عليه واله وسلم.

وقال لاحد اصحابه: ((طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الاخرة ، أولئك قوم اتخذوا الارض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً ، والقرآن شعاراً والدعاء دثاراً ثم قرضوا الدنيا قرضاً....))[٢].

هذه الثنائية هي ثقافة المسلم ثم ترجيح المنافع والمصالح الاخروية على المنافع والمصالح الدنيوية بالزهد في الثانية والرغبة في الاولى لعدة مرجحات يتبعها العقل ويرشدها النقل وفي عصرنا انتهى الصراع الى العقل وازاحة النقل في العالم المتطور اليوم فوجدت العدمية الوجودية والعلمانية والماركسية والكثير من هذه الاسماء ، نحن نعيش في عصر همش واقصي النقل وكاننا خلقنا انفسنا بايدينا ، ان النقل لن يقيل العقل بل يرشده ويأمره[٣] ، قال تعالى: ((اعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ))[٤] ، يقول زكي نجيب محمود: ((ان الاسلام مجموعة من القيم

---

(١) المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص٥٧٤ .

(٢) نهج البلاغة ، جـ٤ ، ٥٨٣ .

(٣) الربيعي ، حسن كريم ماجد ، النقل والعقل دراسة في حاجة العقل للنقل ، بحث غير منشور وغير مرقم .

(٤) الحشر ، آية ٢.

التي لا احسب عاقلاً على وجه الارض يرفض شيئاً منها من حيث هي مثل عليا))[١].

وخرج عليه السلام مع كميل بن زياد النخعي وهو من اصحابه ومحبيه فبلغه من علمه ودعاءه ما خُلد به ذكره ونحن نلهج اليوم بذكر الكلمات والدعاء بل الملايين اليوم يقرؤون دعاءه الذي علمه اياه ، هذه الكلمات التي طرقت سمعه هي تطرق سمعنا اليوم: ((يا كميل العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق....الخ))[٢].

وعلّم كاتبه جودة الخط فقال: ((الق دواتك واطل جلفة قلمك وفرج بين السطور ، وقرمط بين الحروف فان ذلك اجدر بصباحة الخط))[٣] والنص يشير الى اهتمامه بفن الخط العربي وهذه اشارات جمالية فنية رائعة تؤكد اهتمامات الامام بالكتب والمراسلات في العلاقات الدبلوماسية مع خصومه واصحابه وولاته.

وفي بيان المعيارية في التعامل الاسري قال لبعض اصحابه: ((لا تجعلن اكثر شغلك بأهلك وولدك: فان يكن اهلك وولدك اولياء الله فان الله لا يضيع اولياءه وان يكونوا اعداء الله ، فما همك وشغلك باعداء الله ؟))[٤].

واعظم ما جاء في الفقه السياسي عهده لمالك الاشتر في ادارة مصر، وهو يصلح على عمومه في ادارة الدول الحديثة[٥] ، فقد جاء فيه التخطيط والتنظيم

---

(١) محمود ، زكي نجيب ، تجديد الفكر العربي ، (بيروت : دار الشروق ، ١٤٠٢هـ) ، ص٦٨ .

(٢) نهج البلاغة ، جـ٤ ، ص٥٩٤ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص٦٢٩ .

(٤) نهج البلاغة ، جـ٤ ، ص٦٣٦ .

(٥) للمزيد ينظر: نور الدين ن عباس ، عهد امير المؤمنين الى القادة والمسؤولين ، (بيروت: مركز بقية الله الاعظم ، ١٩٩٨م).

وقيادة الشعب والرقابة وموانع القيادة[1] ، والعهد قد شرحه العديد من العلماء بل اعتمد عليه الكثير من اهل القانون ومن كتب في السياسة واعتبره الشيخ محمد حسين النائيني رحمه الله في كتابه المعروف (تنبيه الامة وتنزيه الملة) بل عد نهج البلاغة مع العد من مصادر علم السياسة.

كان امير المؤمنين عليه السلام يحب مالك الاشتر فلما جاء نعيه قال: ((مالك ومالك ، والله لو كان جبلا لكان فنداً ، ولوكان حجراً لكان صلداً لا يرتقيه الحافر ولا يوفي عليه الطائر))[2].

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٣٩ – ص ١٤٤ .

(٢) نهج البلاغة ، جـ٤ ، ص٦٥٦ .

خامساً: علاقته بعائلته

يذكر الامام عليه السلام في واقعة الاسري الحرص على امتداد الرسالة الاسلامية بابنيه الامامين الحسن والحسين عليهما السلام ، ففي بعض ايام صفين وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع الى الحرب فقال: ((املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فانني انفس بهذين – يعني الحسن والحسين عليهما لاسلام – على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم))[١] ، وهو اشارة مهمة في امتداد خط الرسالة الاسلامية بهما وبوجودهما لانهما سيدا شباب اهل الجنة كما هو في الاحاديث المتفق عليها بين المسلمين وان وردا بالفاظ تدل على معاني قربهم من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ليس القرب النسبي وحده بل القرب المعنوي والرسالي ، وقد ورد في البخاري (ت ٢٥٦هـ) قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لهما :((هما ريحانتي من الدنيا))[٢] ووصف آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) باعظم وصف فقال : ((عقلوا الدين عقل وعاية ، لا عقل سماع ورواية ، فان رواة العلم كثير ورعاته قليل))[٣] ، ان مفهوم العقل النظري والعملي هو عقل الوعاية والرعاية وهي مفاهيم يشير اليها الامام امير المؤمنين عليه السلام أي العمق لا الفهم القشري السطحي الذي ابتلت به الامة حتى يومنا هذا.

قال بعض المعاصرين: ((ان مطلق الادراك والارشاد انما هو من العقل النظري فهو بمنزلة المشير الناصح والعقل العملي بمنزلة المنفذ الممضي لاشاراته وما ينفذ فيه الاشارة فهو قوة الغضب والشهوة))[٤].

---

(١) نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٣٩٩ .

(٢) البخاري ، محمد بن اسماعيل ، صحيح البخاري، المثنى به : محمد محمد تامر ، (القاهرة: مؤسسة المختار ، ١٤٢٤هـ) ، ج٢ ، ص٨٥٠.

(٣) نهج البلاغة ، جـ٣ ، ص٤٣٩ .

(٤) السند ، محمد ، العقل العملي دراسة منهجية في الحسن والقبح العقليين والبرهان في الجزئيات والادراكات الاعتبارية ، (قم : منشورات الاجتهاد ، ١٤٢٩هـ) ، ص٢٣٥.

وقبل شهادته كتب وصيته وجاء فيها: ((اوصيكما وجميع ولدي واهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم امركم وصلاح ذات بينكم.... والله الله في القرآن.... في الصلاة..... في بيت ربكم..... في الجهاد))[1].

ومن اعظم الوصايا وصيته لابنه الحسن عليه السلام وهي وصية احتوت مضامين عالية جداً تستحق ان تكون من طرائق التدريس في التربية والتعليم العالي الجامعي بخصوص علاقة الاب بابنه واسرته وكيف يقدم له الوصية المكتوبة وكيف يعرف فلسفة هذه الحياة وثقافة الاسلام فيها ، فقد جاء في بعض فقراتها: ((احي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة ، وقوه باليقين ونوره بالحكمة وذلله بذكر الموت.....الخ))[2] ، تتحدث الوصية المكتوبة في عدة ابعاد من اهمها الابعاد الفكرية والتاريخية للحياة وكيف يسير الانسان في خضم هذه الاحداث التي تواجهه؟ ، ان مفهوم الاحياء الذي ذكره الامام عليه السلام يوحي الى تجديد الفكر دائماً والا كيف يحيى قلبه فآليات الحياة في تجدد كيف لا يتجدد الفكر بآلياته الجديدة والتي هي انجع واقرب ، كالمعلومة الان التي اصبحت اسهل ما يمكن بمجرد ضغطة زر فينفتح العالم امامك لتقطف ما تريد من المعلومات وتحمل ما تشاء وانت في بيتك جالس او قائم او أي صورة انت فيها ، في حين كانت في زمن مضى تستغرق الايام والليالي.

جاءت في هذه الوصية عدة مفاهيم للكون والحياة والواقع والاختيار والاخبار في ابعادها وعناصرها ، وحلول السلوك العام والخاص ، ومن اعلاها القيم الاخلاقية المرتبطة ارتباطا واقعيا مع الارادة الظاهرة والباطنة للنفس الانسانية مع الجمع بين العمل الدنيوي والاخروي بما يوصل الى الاخرة دار المقامة.

---

(١) نهج البلاغة ، جـ٤ ، ص٥١١ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٧٥ ؛ للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٧٣ – ص٤٩٠ .

وفي كلام له لابنه محمد بن الحنفية يصف آفة الفقر في المجتمع واثرها في الواقع الاجتماعي قال عليه السلام: ((يا بني اني اخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه ، فان الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت))[١].

وهنا حذر الامام من آفة الفقر التي تشغل فكر الانسان عن الدين وتدهش حركة العقل عن التفكير الا بما يشغله بسد رمق الحياة بل ربما يتحول الانسان الى مجرم متحلل من القيم والروابط وهي ردة فعل سببها الفقر والعوز وهو لا ينتظم مع الحياة الفكرية والعلمية فتتجمد القوى الفكرية وتشتغل القوى العضلية.

وفي تعبيره عن مقتل محمد بن ابي بكر الذي كان يحبه بل يعتبره من اهله قوله: ((ان حزننا عليه على قدر سرورهم به ، الا انهم نقصوا بغيضاً ونقصنا حبيباً))[٢].

وفي مجال الفقه كتب وصيته بما يعمل في امواله وقد اعطى الحق للامامين الحسن والحسين عليهما السلام في القيام بتنفيذها ثم علل ذلك بعد ان ذكر: ((وان لابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي واني انما جعلت القيام بذلك الى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وتكريماً لحرمته وتشريفاً لوصلته))[٣].

وله كلام عند قبر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لما دفن سيدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها يصف واقع الحال وما حل به بعد احداث السقيفة وما بعدها يشكو لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم الاحداث والوقائع عليه وعلى زوجته الزهراء فمنها: ((وستنبئك ابنتك بتضافر امتك على هضمها فاحفها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر))[٤]،

---

(١) نهج البلاغة ، جـ٤ ، ص٦٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص٦٣١ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٦٠ .

(٤) نهج البلاغة ، جـ٣ ،ص٣٩٦ .

وهذا النص يشير اشارة واضحة انها سلام الله عليها ذهبت حزينة لما جرى عليها غير راضية بل غاضبة ، روى البخاري في صحيحه ((ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال: فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني))[1].

(١) البخاري ، الصحيح ، جـ٢ ، ص٨٥٣ ؛ مسلم ، ابن الحجاج القشيري النيابوري ، صحيح مسلم ، ((القاهرة: مؤسسة المختار ، ١٤٢٦هـ) ، ص١٠٣٥ مع اختلاف عبارة يغضبني الى يؤذيني .

المبحث الثالث: بعد المستقبل

المستقبل ذلك المجهول الذي يخافه الانسان ويتمنى معرفته ، ولكن حركته خاضعة الى عوامل محركة لصناعته لها ارتباط في ماضيه وحاضره ومستقبله لا انفكاك بينهما ولكن على نحو التقدم والتطور لا يمكن الرجوع وهذه هي السنوات المستمرة وهذا هو التاريخ وحركته فلا الماضي تخلف ولا الحاضر ولا حتى المستقبل لان حركة وعجلة التاريخ الى الامام لا الى الخلف ، ولكنها دروس تقرأ وتتجدد الآليات والرؤى والافكار ، ان الحضارة الحديثة قد ركزت على التطور المادي مع تأخر مأساوي في مجال المعنويات[١] ، وهو ما يخالف الثقافة الاسلامية التي تنظر الى التطور وحركة التاريخ مصاحبة للاثنين المادي والمعنوي ، وهكذا هو رؤية الامام عليه السلام للتاريخ وحركته فهو يتحدث عنه باعتباره رجل الرسالة والعقيدة والقائد الحضاري والمفكر المستقبلي[٢].

ان اهتمامات الامام عليه السلام بحركة التاريخ هو لحل اشكالية الانسان مع تغير قدرته على التكامل الروحي والمادي مع الحفاظ على الطهارة الانسانية[٣] قال تعالى: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ))[٤] ، هذه السنن تحكم المستقبل وهذه الاية تمييز بين الحركة المادية الصرفة والحركة المركبة وربما هي اشارة الى من يعتمد المدرسة المادية (كالفكر الغربي) او من يعتمد المدرسة المركبة –الدنيو-آخروية- كالفكر الديني الاسلامي والاديان الاخرى فهو فكر يعتمد الثنائية في ثقافته وينفي الاحادية في التفكير.

---

(١) للمزيد ينظر: شمس الدين ، محمد مهدي ، حركة التاريخ عند الامام علي عليه السلام دراسة في نهج البلاغة ، (بيروت: المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، ١٤١٨هـ) ، ص٢٤ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٢٩ .

(٣) المرجع نفسه ، ص٣٠ .

(٤) الاعراف / ٩٦ .

ان التفسير الاسلامي لحركة المجتمع لا يتبنى النظرة الاحادية لحركته وانما يدخل عناصر اخرى مؤثرة فيه[١] ، في حين ترى المادية التاريخية ان الانتاج هو اساس التطور الاجتماعي فعليه يجب البحث في تطور القوى المنتجة لانها المحور الرئيسي لتحرك البشرية[٢] ، ثم تطورت المفاهيم بتركيز الفردانية وجعله المركز الذي تدور حوله المصالح ، لذا يقول برتراند رسل: ((ان شعور المرء بكرامته يعني معرفته لقيمته الذاتية واهميته من حيث هو انسان وعدم تضحيته لمصالحه في سبيل مصالح الغير))[٣] ، هذه الثقافة قد غزت العالم اليوم في حين ان ثقافة الفكر الاسلامي تعتمد روح الايثار وقضاء مصالح الغير لكسب الخير في الدنيا والاخرة وهي ثقافة قد انحسرت حتى في عالمنا اليوم بتأثير الفكر المادي وانتصاره الحضاري.

كان امير المؤمنين عليه السلام يعي المرحلة التاريخية ويعرف ويشخص داء الامة ودوائها لذا كان يهتم بالحركة التاريخية وما ستؤول اليه الامور بعده فقد حذر من ظاهرة الاموية المتصاعدة ، لذا اخبر بظهور معاوية على مسرح الاحداث لعوامل عديدة ساعدته على الظهور السياسي لذا قال لاهل الكوفة: ((اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل... يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد.....))[٤]، ويبدو ان امير المؤمنين عليه السلام يريد ان يبين مستقبلهم أي الكوفة وغيرها ستخضع لحكم معاوية طويلاً.

---

(١) للمزيد ينظر: الحصيني ، عبد الرحيم ، مستقبلنا المعالم النظرية لاستشراف المستقبل الاسلامي ، (قم: دار الغدير ، ١٤٢٤هـ) ، ص٧٦ .

(٢) كيلله ، فلاديسلاف وما تفي كوفالسون ، المادية التاريخية دراسة في نظرية المجتمع الماركسية ، (موسكو ، دار التقدم ، بلا) ، ص٣٨٤ .

(٣) رسل ، برتراند ، السلطة والفرد ، ترجمة: نوري جعفر ، (كولونيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٥م) ، ص٨٠ .

(٤) نهج البلاغة ، جـ١ ، ص١١٣ .

كان امير المؤمنين عليه السلام قد اعلم غيره بعد الفتنة التي اطاحت بعثمان ولما اراده الناس رفض ولكنهم اصروا فقال: ((دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون امراً له وجوه والوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول...))[١] ، وهي اشارة صريحة الى تعقد المسرح السياسي وصعوبة اعادة النظرية الاسلامية والتخلص من بعض النظم التراكمية التي بنيت على الحكم الاجتهادي الفردي وفيها التفاضل الاجتماعي وظهور الطبقية في المجتمع التي تركزت كثقافة لدى الطبقات المترفة بل تطمح بالمزيد واذا بها ترى العكس الرجوع الى المساواة.

ومن خطبة له يصف حال الظاهرة الاموية في التغير الاجتماعي والتسلط السياسي فيقول: ((ولا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم الا نافعاً لهم او غير ضائر بهم...))[٢] ، وهذا شأن الحكومات الاستبدادية الى يومنا هذا ، ويمكن للباحث ان يدرس قيام الدولة الاموية ويرى بنفسه واقعها ويحكم بشكل موضوعي غير مؤدلج لها وعليها.

فان الظاهرة الاموية يشخصها امير المؤمنين عليه السلام في خطبته بالتغير الاجتماعي والتغير الديني لذا يقول: ((واصاب البلاء من ابصر فيها)) أي نزل به بلاء الانتقام من بني امية بعد معرفته الحق[٣] ، ثم تسقط هذه الدولة بعد ان تأخذ دورتها ويتسع ظلمها فيأتي ((بمن يسومهم خسفاً ، ويسوقهم عنفاً، ويسقيهم بكأس مصبرة لا يعطيهم الا السيف))[٤] ، ويعطي امير المؤمنين عليه السلام نهايتها وقيام غيرها بحد السيف وذلك يبدو من كلامه مصير الاستبداد السياسي والدول الظالمة التي لا تعي واقعها التاريخي اذ تظلم مجتمعها ثم مصيرها الانهيار ، وهذا ما يكتشفه من اشتغل بالحقل التاريخي كحقل من حقول المعرفة

---

(١) نهج البلاغة ، جـ١ ، ص١٧٨ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٨٤ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٨٤ جمعاً بين المتن والشرح.

(٤) نهج البلاغة ، جـ٢ ، ص١٨٥ .

بل ان التفكير التاريخي لون من النشاط المعرفي الذي يقوم به العقل الانساني، ان ديكارات يصرح بان فكرة الماضي فكرة طبيعية متوارثة في التكوين الانساني[١] ، لذا تكون دراسة ابعاد التاريخ مهمة في تطور المجتمعات بل انها تهتم كثيرا بمستقبلها بوضع الخطط والبرامج الاساسية لتطورها.

والوصول الى تكاملها ببعث وعيها التاريخي ودراسة حالات التقدم فيه والتراجع فليس التاريخ وحركته في تطور نحو الازدهار او الانهيار بل حالات متبادلة تؤثر فيها جملة من العوامل الداخلة في انحرافها وتصاعدها وتنازلها كأي حضارة من حضارات التاريخ ، مثل الحضارة الاسلامية وتأخرها وتدهورها في كل البنى التحتية وان وجدت في اصل نظريتها كافة اصول واسس القوانين والتشريعات الانسانية لكن الممارسات والتطبيقات تخالفها وهو ما اشار اليه امير المؤمنين عليه السلام في تغيير بني امية لاصل النظرية الاسلامية فقال: ((والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً الا استحلوه ولا عقداً الا حلوه.... وحتى يقوم الباكيان يبكيان: باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه...))[٢].

ويقول في موضع اخر عن هذه الرؤية المستقبلية الحتمية التي نقلها عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم: ((فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ان الذي انبئكم به عن النبي الامي صلى الله عليه واله وسلم ما كذب المبلغ ولا جهل السامع....))[٣] ، وهنا يؤكد امير المؤمنين عليه السلام اقربيته من خط الرسالة ويعلن صراحة مصادر معرفته هذه ليثبت حاجة الامة الى الامام المعصوم وهي نظرية الشيعة من الامامية.

---

(١) كولنجوود ، ر . ج ، فكرة التاريخ ، ترجمة: محمد بكر خليل ن راجعة: محمد عبد الواحد خلاف ، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٨م) ، ص٤٢٨ .

(٢) نهج البلاغة ، جـ٢ ، ص١٩٠ .

(٣) نهج البلاغة ، جـ٢ ، ص١٩٤ .

ثم يذكر احد الامويين ويعبر عنه بقوله: ((لكأني انظر الى ضليل قد نعق بالشام وفحص برایاته في ضواحي كوفان))[١] وهي اشارة الى عبد الملك بن مروان (٦٥هـ - ٨٦هـ) الذي دخل الكوفة وقد نزل بظهرها فخرجوا اليه وبايعوه وقد عمهم ترغيبه وترهيبه[٢].

واشار الامام عليه السلام في حدوث الفتن في مستقبل الايام لحركة صاحب الزنج الذي خرج سنة ٢٥٥هـ وانتهت فتنه سنة ٢٧٠هـ فقال: ((فويل لك يابصرة.....من جيش.... لا رهج له ولا حس وسبيتلى اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر))[٣] وسميت هذه الثورة بثورة العبيد او ثورة الزبخ واستمرت طويلاً[٤] ، وفي موضع اخر اخبر عن ملاحم البصرة لذات خبر صاحب الزنج يصف قائدهم: ((كاني به وقد سار بالجيش الذي لا تكون له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل ، يثيرون الارض باقدامهم كانها اقدام النعام.....))[٥] ، ثم يقول عليه السلام: ((ويل لسككم العامرة والدور المزخرفة التي لها اجنحة كاجنحة النسور وخراطيم كخراطيم الفيلة من اولئك الذين لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم....))[٦] ، صاحب الزنج دخل البصرة سنة ٢٥٧هـ واعمل جيشه سيوفهم دون رحمة وخربت البصرة على ايديهم واصبح مثلاً

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) للمزيد ينظر : المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٢٥هـ) ، جـ٣ ، ص١٢٩ ؛ الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود ، الاخبار الطوال ، تحق: عبد المنعم عامر ، مراجعة : جمال الدين الشيال ، (قم: المكتبة الحيدرية ، بلا) ، ص٣١٣ .

(٣) نهج البلاغة ، جـ٢ ، ص١٩٦ .

(٤) للمزيد ينظر : علبي ، احمد ، الاسلام والمنهج التاريخي ، (بيروت: دار الطليعة ، ١٩٧٥م) ، ص١٣ وما بعدها.

(٥) نهج البلاغة ، جـ٢ ، ص٢٣٨ .

(٦) نهج البلاغة ، جـ٢ ، ص٢٣٨ .

سائراً على الزمن[١] ، ويذكر الطبري (ت٣١٠هـ) في تاريخه الاحداث مفصلة وما عمله صاحب الزنج بالبصرة في احداث سنة ٢٥٧هـ من حرق الدور والمساجد اذ حرق المسجد الجامع وغدر بالناس بعد اجتماعهم[٢] وغيرها مما يشيب رأس الانسان بذكره مثل ما قال امير المؤمنين عليه السلام واخبر به.

ورد عليه بعض اصحابه ان هذا الذي تخبر به عن المستقبل هو علم الغيب فنفى امير المؤمنين عليه السلام ان يكون من علم الغيب فقال: ((ليس هو بعلم غيب ، وانما هو تعلم من ذي علم ، وانما علم الغيب علم الساعة.... الذي لا يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم الله نبيه فعلمنيه ودعا لي بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي))[٣].

وهنا يؤكد الامام مصادر معلوماته عن هذه الاحداث في التاريخ الاسلامي فينسب ذلك الى الرسول صلى الله عليه واله وسلم ولا يدعي علمه بالغيب ابداً وهنا لانقول ان الامام مؤرخاً بل المستفاد من ذلك اهتمامه بالحركة التاريخية ودورها في البناء الاجتماعي الذي يستدعي منا البحث في هذا الحقل لنعرف حركة التاريخ ومجريات الاحداث وبناء المستقبل والعمل على التطور والبناء والتجديد في مختلف المجالات.

وفي خطبة له رائعة تصف تغير الزمان والاحوال بالناس على مستوى العلاقات الاجتماعية لذا ارشدهم الى الركون الى العلماء الربانيين بقوله: ((فاستمعوا من ربانيكم))[٤] ، هذا الوصف بالمفاهيم المعروضة تشابه زماننا هذا تماماً فقد قال: ((وتوآخى الناس على الفجور ، وتهاجروا على الدين ، وتحابوا على الكذب ، وتباغضوا على الصدق ، فاذا كان ذلك كان الولد غيظا،

---

(١) عُلبي ، الاسلام والمنهج التاريخي ، ص٦٧ .

(٢) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تحق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، (القاهرة: دار المعارف ، ١٩٦٠م) ، جـ٩ ، ص٤٨١ وما بعدها.

(٣) نهج البلاغة ، جـ٢ ، ص٢٣٩ .

(٤) نهج البلاغة ، جـ٢ ، ص٢٠٦ .

والمطر قيظا ، وتفيض اللئام فيضا ، وتغيض الكرام غيضا ، وكان اهل ذلك الزمان ذئاباً وسلاطينه سباعاً واوساطه اكالاً ، وفقراؤه امواتاً ، وغار الصدق، وفاض الكذب واستعملت المودة باللسان ، وتشاجر الناس بالقلوب ، وصار الفسوق نسباً ، والعفاف عجباً ولبس الاسلام ليس الفرو مقلوباً))[1] ذكرتها بطولها لاهميتها اذ تكشف عن واقع ما وصل اليه الناس اليوم فاغلب هذه المفاهيم اصبحت تحكم جملة من العلاقات الاجتماعية السائدة بين الناس.

ومن عجيب ما يذكره عن الازمنة التي تكون مشابهة لزماننا هذا فانظر وتأمل قوله: ((يأتي زمان لا يبقى فيهم من القرآن الا رسمه ومن الاسلام الا اسمه ومساجدهم غامرة من البناء خراب من الهدى....))[2].

وهناك خطب اخرى يذكر فيها الملاحم قد تتشابه مع ما اخترناه من الكلمات والخطب في رؤيته المستقبلية للاحداث ونحن اذ ندرس هذا الفكر نقرر ان اهتمام المعصوم بايراد مثل ذلك يؤكد الاهتمام الكبير بمثل هذه الدراسات وان اختلفت المصادر فمصادره علم تعلمه من الرسول صلى الله عليه واله وسلم وعلمنا نتيجة لاعمال الفكر والنظر والتأمل وهكذا هي نظريات فلسفة التاريخ بانواعها في مختلف المدارس التفسيرية لحركة التاريخ وعلله.

اذ ان التفسير المادي لا يؤمن الا بالمحسوس ويستبعد الغيبيات من مجال بحثه ولا يسلم اصلاً بوجودها ، وقد ظهر هذا المنهج للتفسير كرد فعل للمنهج الروحي المستمد من التفسير المسيحي للتاريخ[3] ، ان الاسلام برؤيته لحركة التاريخ يعدد العوامل المحركة للتاريخ ولكن هناك سنن ثابتة وقوانين يتحرك بها التاريخ ويخضع لمجملها ، فان الوعي التاريخي بالمركب الثقافي الاسلامي –

---

(١) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص٦٤٠ .

(٣) طحطح ، خاليد فؤاد ، في فلسفة التاريخ ، (بيروت: دار العربية للعلوم ناشرون ، ١٤٣٠هـ) ، ص٦٨ .

الدنيواخروي- وارجاع القوى المحركة الغير محسوسة الى خالقها مع ارجاع القوى المحركة لعوامل الانسان ووجوده وقيمه ومفاهيمه كلها تدخل عوامل محركة للتاريخ كما ذكر ذلك امير المؤمنين عليه السلام في اغلب خطبه فان نتائج الظلم والاستبداد معلومة وهو ما آلت اليه الماركسية بتصورها ان لا خالق لهذا الوجود فانهارت الى غير رجعة.

فالاسلام يعتمد الاعتدال ولا يفسر الاشياء بردودها فله نظرة واقعية للاشياء لا يترك الدنيا ويعمل للاخرة بل يعمل للاثنين باوامر الهية معللة بالمصالح والمفاسد تجعل من الفرد المسلم مثال الاخلاق والمعرفة والاعتدال هذه هي ثقافة الاسلام من مصادرها الاصيلة القرآن والسنة وسيرة الائمة عليهم السلام وفي خطبة له عن اخر الزمان يقول: ((واعلموا انكم ان اتبعتم الداعي لكم سلك بكم منهاج الرسول))[1] ، وهذا المنهاج لا يمكن تحديده بالامد التاريخي وتقييده بمدة زمنية ينتهي امدها وهو ما يعرف بالتاريخية التي لا توافق الحداثة وما بعدها ، ان القيم الاخلاقية والتشريعات الضامنة لحقوق البشر وبيان اسس العلاقات الاجتماعية وفق اصول تكوين الجنس البشري تحكمها طبيعة الانسان ومراداته الذاتية في البحث عن مسلك النجاة والوصول الى الاستقرار العقلي بمساعدة وارشاد النقل.

---

(١) نهج البلاغة ، جـ٢ ، ص٣٠١.

الخلاصة

بعد هذه الجولة في الابعاد التاريخية لفكر امير المؤمنين عليه السلام يمكن استنتاج ما يأتي:

١- اهمية الفكر التاريخي عند امير المؤمنين عليه السلام اذ اوصى بالاستفادة من حركته للموعظة والعبرة واجتياز مراحل الحياة الدنيا الى الاخرة.

٢- الدعوة للنظر في الماضي بوصفه حركة للتاريخ البشري وبالاخص تاريخ الحركة النبوية وسيرتهم.

٣- رؤية الواقع ومحاولة تغييره حسب البنية الاجتماعية بعلاقات متوازنة اذ وضح عليه السلام علاقته الخاصة برسول الله صلى الله عليه واله وسلم.

٤- وفي البعد المستقبلي اكد امير المؤمنين عليه السلام على ان مصادره في كشف الاحداث المستقبلية هو ليس علم الغيب وانما هو علم تعلمه من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم.

الباحثان

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

آملي ، جوادي.

١. الحكمة النظرية والعملية في نهج البلاغة ، (قم: ذوى القربى ، بلا).

البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ).

٢. صحيح البخاري ، اعتنى به : محمد محمد تامر ، (القاهرة : مؤسسة المختار ، ١٤٢٤هـ).

التيموي ، الهادي.

٣. نظريات المعرفة التاريخية وفلسفات التاريخ في العالم الغربي في النصف الثاني من القرن العشرين مختارات معربة ، (تونس : المجمع التونسي للعلوم والادآب والفنون ، ٢٠٠٨م).

الثقفي ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد (ت ٢٨٣هـ).

٤. الغارات ، تحق : عبد الزهراء الحسيني ، (دمشق : دار الكتاب الاسلامي ، ١٩٩٠م).

الجابري ، محمد عابد.

٥. نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي ، (بيروت : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٣م).

ابن حبان ، ابو حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ).

٦. تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الاخبار ، تحق : بوران الضناوي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ).

الحصيني ، عبد الرحيم.

٧. مستقبلنا المعالم النظرية لاستشراف المستقبل الاسلامي ، (قم : دار الغدير ، ١٤٢٤هـ)

الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ).

٨. تاريخ بغداد مدينة السلام ، تحق : صدقي جميل العطار ، (بيروت : دار الفكر ، ١٤٢٤هـ).

الدينوري ، ابو حنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ).

٩. الاخبار الطوال ، تحق : عبد المنعم عامر ، مراجعة: جمال الدين الشيال ، (قم: المكتبة الحيدرية ، بلا).

الراغب الاصفهاني ، ابو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ).

١٠. المفردات في غريب القرآن ، ضبط : هيثم طعيمي ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٤٢٣هـ).

الربيعي ، حسن كريم ماجد.

١١. النقل والعقل دراسة في حاجة العقل للنقل ، بحث غير منشور.

رسل ، برتراند.

١٢. السلطة والفرد ، ترجمة : نوري جعفر ، (كولونيا : منشورات الجمل، ٢٠٠٥م).

الركابي.

١٣. السنن التاريخية في القرآن المجيد ، (بيروت : دار النهضة الاسلامية ، ١٩٩٦م).

السند ، محمد.

١٤. العقل العملي دراسة منهجية في الحسن والتصبح العقليين والبرهان في الجزئيات والادراكات الاعتبارية ، (قم : منشورات الاجتهاد ، ١٤٢٩هـ).

الشريف الرضي ، ابو الحسن محمد بن الحسن الموسوي (ت ٤٠٤هـ).

١٥. نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره من كلام امير المؤمنين ابي الحسن علي بن ابي طالب عليه السلام ، شرح : محمد عبده ، تحق: عبد العزيز سيد الاهل ، (بيروت : دار الاندلس ، ١٣٨٢هـ).

شمس الدين ، محمد مهدي.

١٦. حركة التاريخ عند الامام علي عليه السلام دراسة في نهج البلاغة ، (بيروت : المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، ١٤١٨هـ).

الصدر ، محمد باقر (ت ١٤٠٠هـ).

١٧. المدرسة القرأنية ، (قم : شريعة ، ١٤٢٦ه).

الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)

١٨. تاريخ الرسل والملوك ، تحق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٠م).

طحطح ، خالد فؤاد.

١٩. في فلسفة التاريخ ، (بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون ، ١٤٣٠هـ).

عُلبي ، احمد.

٢٠. الاسلام والمنهج التاريخي ، (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٥م).

ابن قرناس.

٢١. سنة الاولين تحليل مواقف من الدين وتعليلها ، منشورات الجمل ، ٢٠٠٨م.

الكفيشي ، عامر.

٢٢. حركة التاريخ في القرآن الكريم ، (بيروت : دار الهادي ، ١٤٢٤هـ).

كولنجوود ، ر . ج .

٢٣. فكرة التاريخ ، ترجمة : محمد بكير خليل ، راجعة : محمد عبد الواحد خلاف ، (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٨م).

كيلله ، فلاد يسلاف وما تفي كوفالسون.

٢٤. المادية التاريخية دراسة في نظرية المجتمع الماركسية ، (موسكو : دار التقدم ، بلا).

محمود ، زكي نجيب.

٢٥. تجديد الفكر العربي ، (بيروت : دار الشروق ، ١٤٠٢هـ).

المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ).

٢٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٤٢٥هـ).

مسلم ، ابن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ).

٢٧. صحيح مسلم ، (القاهرة : مؤسسة المختار ، ١٤٢٦هـ).

المطبعي ، حميد.

٢٨. العلامة الدكتور حسين علي محفوظ ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٧٩م).

النائيني ، محمد حسين (ت ١٣٥٥هـ).

٢٩. تنبيه الامة وتنزيه الملة ، تعريب: عبد الحسين آل نجف ، (قم: سبهر ، ١٤١٩هـ).

نور الدين ، عباس.

٣٠. عهد امير المؤمنين الى القادة والمسؤولين ، (بيروت : مركز بقية الله الاعظم ، ١٩٩٨م).

هرنشو.

٣١. علم التاريخ ، ترجمة : عبد الحميد العبادي ، (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م).

هيلند ، ربرت.

٣٢. تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي الى صدر الاسلام ٣٢٠٠ ق. م – ٦٣٠م ، ترجمة : عدنان حسن ، مراجعة : زياد منى ، (بيروت : قدمس للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠م).